بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:77].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج:19-22].

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:2].

قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:1-7].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة السادسة والعشرون في سلسلة: "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

وسبق أن تحدثت في هذه السلسلة عن الإسلام والعدالة، وعن المواطنة حقوقها وواجباتها، وعن الغلو في الحب والكره، وعن الدستور في الإسلام، وعن الفساد: أسبابه وعواقبه وإصلاحه، وعن التعاون، وعن الإيثار، وعن الفرج بعد الشدة، وعن نصرة المظلوم، وعن فضائل الشام.

وعنوان خطبة اليوم:

(اصطناع المعروف)

بمناسبة دخول شهر ربيع الأنور؛ شهر ولادة سيّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلم، أحببتُ أن أقرأ على الإخوة المصلين طائفةً من أحاديث النبي صلَّى الله عليه وسلم، أَصدقِ النَّاس لساناً، وأحسنِ الخَلْقِ مقالاً.

وقد قرأتُ في الأسبوع الأول من الشهر أحاديث من كتاب "التَّرغيب والتَّرهيب" للحافظ المنذري، وقرأتُ بعدها من كتاب "كنز العمَّال" للعلَّامة الهندي، ثم من كتاب "تاريخ مدينة دمشق" للحافظ ابن عساكر، وأقرأ عليكم اليوم من كتاب "اصطناع المعروف" للحافظ ابن أبي الدنيا.

وابن أبي الدنيا: هو أبو بكر، عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، القرشي الأموي البغدادي، حافظ للحديث، مُكثِر من التصنيف، أدّب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته، ثم أدَّب ابنه المكتفي. وكان من الوُعَّاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائِم طبائع الناس، قالوا عنه: إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه. وفاته ببغداد سنة إحدى وثمانين ومائتين.

وأما كتابه "اصطناع المعروف" فهو كتاب لطيف، جاء في صحائف معدودات، ضمّنه أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم وأخباراً عن الصحابة والتابعين، وبعض الأشعار. والأحاديث التي ذكرها منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها دون ذلك.

وإنما أردتُ الحديثَ عن اصطناع المعروف الآن لأن الخير والمعروف عنوان المسلم وديدنه في الأوقات عامة، وهو لائق به في الأزمات خاصة، يستمطر به معونة الله بمعونة عباده، ويستجلب رحمة الله برحمة خلقه.

وها أنا أقرأ عليكم بعض ما جاء من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في "اصطناع المعروف":

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كل معروف صدقة، والمعروف يَقِي سبعين نوعاً من البلاء، ويَقِي ميتة السوء**))، وفي رواية: ((**يَقِي مصارع السوء**)).
- عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن أحبَّ عبادِ الله إلى الله عز وجل: مَن حُبِّب إليه المعروف وحُبِّب إليه فعاله**)).
- عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خَلقِه؛ حبَّب إليهم المعروف، وحبَّب إليهم فعاله،**

ووجَّه طُلاَّب المعروف إليهم، ويسَّر عليهم إعطاءَه كما يسَّر الغيثَ إلى الأرضِ الجدبةِ ليحييها ويحيي بها أهلها.

وإن الله –جلَّ ذِكرُه– جعل للمعروف أعداء من خلقه؛ بغَّضَ إليهم المعروف، وبغَّض إليهم فِعَاله، وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها، وما يعفو أكثر)).

- عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله تعالى قوماً يختصُّهم بالنِّعَم لمنافع العباد؛ يُقِرُّها فيهم ما بذلوها؛ فإذا مَنَعوها نزَعَها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم)).

- عن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((عليكم باصطناع المعروف، فإنه يَقِي مصارع السوء، وعليكم بصدقة السِّرّ، فإنها تطفئ غضبَ الله عز وجل)).

- عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن نفَّس عن أخيه المسلم كُربة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كُرَب الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ أخاه المسلم سَتَره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَونِ العبد ما كان في عَونِ أخيه)).

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أهلُ المعروف في الدنيا أهلُ المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهلُ المنكر في الآخر)).

- عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كان يوم القيامة جَمَعَ الله تعالى أهلَ الجنة صفوفاً وأهلَ النار صفوفاً، قال: فينظر الرجل مِن صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول: يا فلان، أما تَذكُر يوم اصطنعتُ إليك في الدنيا معروفاً، فيأخذ بيده فيقول: اللهم إن هذا اصطنع إليَّ في الدنيا معروفاً، فيقال له: خذ بيده فأدخله الجنة برحمة الله)).

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً؛ ولو أن تُفرِغ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تكلِّم أخاك ووجهُك إليه منبسط)).

- عن رجاء بن حيوة –رحمه الله– قال: كنت واقفاً على باب سليمان بن عبد الملك، فأتاني آتٍ لم أَرَهُ قبل ولا بعد، فقال: (يا رجاء، إنك قد بُلِيتَ بهذا وبُلِيَ بك، يا رجاء،

فعليك بالمعروف وعونِ الضعيف، يا رجاء، إنه مَن رَفَعَ حاجة ضعيف إلى سلطان لا يقدر على رَفعِها ثبَّت الله قدمه على الصراط يوم تزلّ الأقدام).

- عن سليمان أبي فاطمة قال: أوحى الله تعالى إلى ذي القرنين: ((**وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أحبَّ إليَّ من المعروف، وسأجعل له علماً، فمن رأيتَني حبَّبتُ إليه المعروف وسهَّلتُه عليه وحبَّبتُ إلى الناس الطلبَ إليه، فأحِبَّه وتولَّه، فإنه مِن خير من خَلَقت. ومن رأيتَني كرهتُ إليه المعروف، وبغَّضتُ إلى الناس الطلبَ إليه، فأبغِضْه ولا تولَّه، فإنه من شرِّ ما خلقتُ**)).

- عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الخلق كلُّهم عيالُ الله، فأحَبُّهم إلى الله تعالى أنفَعُهم لعياله**)).

- عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الدالُّ على الخير كفاعله، والله يحبُّ إغاثة اللهفان**)).

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَن سَرَّه أن تُنَفَّسَ كربتُه، وأن تُستَجاب دعوتُه، فليُيَسر على معسر، أو ليَضَع له، فإن الله يحبُّ إغاثة اللهفان**)) قال جعفر: قيل لهشام: ما اللهفان؟ قال: هو والله المكروب.

- عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: (يُحشَرُ الناسُ يوم القيامة أعرى ما كانوا قطّ، وأجْوَع ما كانوا قط، وأظمَأ ما كانوا قط، وأنْصَب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساهُ الله، ومن أطعَمَ لله أطعَمَه الله، ومَن سَقى لله سقاه الله، ومَن عَمِلَ لله أغناه الله تعالى، ومن عفا لله أعفاه الله).

- عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من كسا مؤمناً على عريٍ كساه الله من إستبرق الجنة، ومن سقاه على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعَمَه من جوع أطعَمَه الله من ثمار الجنة**)).

- عن الربيع بن صبيح قال: سمعت الحسن يقول: (والله، لأن أقضيَ لامرئ مسلم حاجة أحبُّ إليَّ من أن أصلي ألف ركعة).

- عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: (كنت أوضئ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فرفع رأسه فنظر إليَّ، فقال: ((**يا أنس، أما علمتَ أن مِن موجبات المغفرة:**

إدخالُك السرورَ على أخيك المسلم؛ تُنَفِّس عنه كربة، أو تُفَرِّج عنه غماً، أو تزجي له صنعةً، أو تقضي عنه ديناً، أو تخلفه في أهله)).

- وروى عبد الله بن دينار -رحمه الله- عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قيل: يا رسول الله، مَن أحبّ الناس إلى الله؟ قال: **((أَنفَعُهم للناس، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله سرورٌ تُدخِلُه على مؤمنٍ؛ تكشِف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأَن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبّ إليَّ من أن أعتكف شهرين في مسجد، ومَن كفَّ غضَبَه سَتَرَ الله عورته، ومَن كَظَمَ غيظَه -ولو شاء أن يمضِيَه أمضاه- ملأ الله قلبَه رضىً، ومَن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبِتَها له ثبَّت الله قدَمَه يوم تزلُّ فيه الأقدام، وإنَّ سوءَ الخُلُق ليُفسِد العمل كما يُفسِد الخلُّ العسلَ))**.

- عن الحسن -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إن لله عباداً خَلَقَهم لحوائج الناس، تُقضَى حوائجُ الناس على أيديهم، أولئك آمنون من فزع يوم القيامة))**.

- عن أبي جعفر -رحمه الله- قال: جاء رجلٌ إلى الحسين بن علي -رضي الله عنهما- فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتى الحسن -رضي الله عنه- فأخبره، فقال الحسن: (لو مشى معك لكان خيراً له من اعتكافه، والله لأن أمشي معك في حاجتك أحبّ إلي من اعتكاف شهر).

- عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رَفَعَه، قال: **((ما من مؤمن أدخَلَ على مؤمن سروراً إلا خَلَقَ الله عز وجل من ذلك السرور ملكاً يعبد الله عز وجل ويحمده ويوحّده، فإذا صار المؤمن في لحده أتاه السرور الذي أدخَلَه عليه، فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: مَن أنتَ؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أؤنس وحشَتَكَ، وألقِّنك حجَّتك، وأثبِّتك بالقول الثابت، وأَشهد بك مَشهَد القيامة، وأشفَع لك من ربك عز وجل، وأُريك منزلك من الجنة))**.

وفي أواخر كتاب "اصطناع المعروف" ذكر ابن أبي الدنيا باباً في شكر الصَّنيعة، روى فيه بإسناده عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))**.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَن أُولِيَ معروفاً فليكافئ به، ومَن لم يستطع فليذكُره، فإذا ذَكَرَه فقد شَكَره))**.

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأتُ في (اصطناع المعروف).

أخرج ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم:

((يقول الله عزَّ وجلَّ: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين